Necmettin Erbakan Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi, sayı: 33, 2012, ss.81-95.

استدعاء شخصية الحسين بن علي في الشعر العربي الحديث

د. تيسير محمد أحمد الزيادات

Teysir Ziyadat

Yard. Doç. Dr., Şırnak Üniversitesi İlahiyat Fakültesi

Arap Dili ve Belağatı Anabilim Dalı Öğretim Üyesi

tayseerzaydat@yahoo.com

ÇAĞDAŞ ARAP ŞİİRİNDE HÜSEYİN B. ALİ'NİN KULLANILIŞI

Araştırma, İmam Hüseyin b. Ali'nin şahsiyetinin modern Arap şiirinde kullanılışını ele alıyor. Araştırmacı, edebiyatta dinî şahsiyetlerin önemini ve gösterdiği anlamları ele alıyor, bunun yanı sıra şâiri kültürel mîrası ve dinî şahsiyetleri, özellikle de İmam Hüseyin'in şahsiyetini işlemeye iten faktörleri araştırıyor, sonra modern Arap şiirindeki Hüseyin b. Ali şahsiyetinin kullanılış şekillerini sunuyor. Buna göre küllî ve cüz'î olmak üzere iki kullanım vardır. Araştırmacı çalışmasında tarihî metodun verileri yanısıra semantik metodu da kullanmaktadır. Araştırmacı çalışmasında bir kısım sonuçlara ulaşmıştır. Bunların en önemlileri şöyle sıralanabilir: Şâirler ve kültürel miras arasında derin bir bağ vardır. Şâirler, Hüseyin b. Ali'nin şahsiyetinde ve onun başına gelen dramatik olaylarda, toplumun maruz kaldığı musibetleri, dahilî ve hâricî düzeyde yüzleştiği meydan okumaları terennüm etmekte gizli bir güç ve verimli bir kaynak bulmuştur. Araştırmacı araştırmayla ilgili zengin bir kaynak ve literature listesi de sunmuştur.

Anahtar Terimler: Hüseyin, şiir, Kerbelâ, gelenek

HUSSEIN b. ALI`S PERSONALITY IN THE CONTEMPORARY ARABIC POETRY

The research is about the personality of Imam Hussein in the contemporary Arabic poetry. The author has summoned up the importance of religious figures and their significance in employing them in the literature, also the reasons why the poets recall the traditions / or the religious figures. Especially the personality of Imam Hussein. Then, the author presented the methodology of employing Imam Hussein`s figure in contemporary Arabic poetry. The methodology has been used in two ways (whole and partial). Semantics has been used with historical chronology facts. The author has concluded reaching outcomes such as: the deep relation between the poet and the tradition, convinced that in the personality of Hussein and what had happened to him of pitiable event, strong case and great potential in relating to the anguish of Muslims and the internal and external challenges they face. Finally the author presented a list of main resources and references used for the paper.

Key words: Hussein b. Ali, Karbalaa, the poetry, the tradition.

المقدمة :

تلعب الرموز التاريخية والدينية دورا هاما في تشكيل النص الشعري الحديث، وذلك (لما يرتبط بها من أحداث مهمة ومواقف معهودة ، فقد أصبح استدعاؤها أمرا يثري المضمون الشعري، ويكشف الكثير من المعاني التي يصعب الحديث عنها بطريقة مباشرة) [1].

إن استدعاء الشاعر العربي الحديث للموروث الديني لا يعني نقله كما هو؛ وإنما عليه أن يستخدمه (استخداما فنيا إيحائياً، وتوظيفه رمزياً لحمل الأبعاد المعاصرة للرؤية الشعرية، بحيث يسقط على معطيات التراث ملامح معاناته الخاصة؛ فتصبح هذه المعطيات، معطيات تراثية معاصرة) [2]. . وهذا هو التعامل الحقيقي مع التراث؛ لأن الشاعر في توظيفه لا يسعى إلى الاستعانة بحقائق التاريخ ومضامينه؛ بل يعتمد على المضامين البارزة فيها، فيمنحها بعدا يجعلها تتجاوز عصرها، أو يحقق لها قدرة التواصل الحي مع العصر الراهن ليتبرز فيه بسماتها المميزة كما كانت في عصرها؛[3] لأن إعادة الصياغة أو التقليد للموروث الديني وغيره من التراث لا قيمة له، إنه يذكّر فقط بالماضي، ولا يقدم الحلول للمشكلات التي تعاني منها الشعوب والمجتمعات.

وتأسيسا على ما سبق يمكن القول إن استدعاء الشخصيات الدينية هو محاولة لقراءة واقعنا العربي بين ماض مشرق، وحاضر معتم بالظلم والقهر والفقر ، والعودة إلى الماضي تعني استلهام التجارب وصولا إلى حلول مناسبة لقضايا يعاني منها المجتمع بكل تجلياته، ذلك أن "عناصر التراث ومعطياته لها القدرة على الإيحاء بمشاعر وأحاسيس لا تنفذ، حيث تعيش هذه المعطيات في وجدان الناس وأعماقهم ، تحف بها هالة من القداسة والإكبار؛ لأنها تمثل الجذور الأساسية لتكوينهم الفكري والوجداني والنفسي....لذا فإن استخدام الرموز التراثية يضفي على العمل الأدبي / الشعري عراقة وإصالة، ويمثل نوعا من امتداد الماضي في الحاضر، وتغلل جذور الحاضر في تربة الماضي الخصبة المعطاء، كما أنه يمنح الرؤية الشعرية نوعا من الشمول والكلية حيث يجعلها تتخطى حدود الزمان والمكان، ويتعانق في إطارهما الماضي مع الحاضر. [4].

العوامل التي دعت الشاعر لتوظيف التراث في الشعر العربي الحديث

(1) نبيل أبو علي، الفرق بين الأسطورة والخرافة والتاريخ، مجلة كلية الأداب، جامعة حلوان، العدد الخامس،1999ص 201-202

(2) ابن الشجري: مختارات ابن الشجري ، تحقيق محمود حسن زناتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1980.

(3) علي حداد: أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة ،ط1986 . ص 80.

(4) د.محمد فؤاد السلطان :الرموز التاريخية والدينية والأسطورية في شعر محمود درويش. مجلة جامعة الأقصى(سلسلة العلوم الإنسانية)المجلد الرابع عشر،العدد الأول ص1-36يناير 2010.

ثمة مجموعة من العوامل دعت الشاعر الحديث لاستدعاء التراث بأشكاله المختلفة، الديني وغيره، منها:

- العوامل الفنية :وتتمثل في إحساس الشاعر بالطاقة الكامنة التي يحتويها التراث، وبما يسمح له من إمكانات فنية عالية تؤهله للتعبير عن همومه وقضاياه من خلال الإيحاء والإيماء والتأثير في المجتمع الذي مازال يحتفظ بمخزونه التراثي .
- العوامل الثقافية: ساعدت العوامل الثقافية الشاعر الحديث في توظيفه للشخصيات التراثية على الانتقال من التعبير (عن الموروث) إلى (مرحلة التعبير به) [5].
- العوامل السياسية والاجتماعية : وجد الشاعر الحديث في التراث، القناع و المكان الآمن لنقد السلطة، فاتخذ من التراث الذي يوظفه في شعرة عباءة يستتر خلفها من قوى الفساد والطغيان.
- العوامل القومية : التراث يعني القاعدة المتينة التي ترتكز عليها أي أمة في التاريخ، والعودة إلى هذه القاعدة والانطلاق منها تمنح الإحساس بالقوة، والثقة بالنفس والأصالة والعراقة ، وإعادة نبض الحياة من جديد للتعبير عن وجدانها في العصر الحديث.
- العوامل النفسية: إن حالة التدهور النفسي التي يعاني منها الشاعر العربي الحديث من زيف وقمع وغربة نفسية تدفعه إلى التطلع لعالم أرقى وأكثر نضارة وبكارة، ولا يجد ذلك إلا بين أحضان التراث[6].

استدعاء الشخصيات الدينية:

لقد أصبح استدعاء الشخصيات الدينية في الشعر العربي الحديث ظاهرة شائعة، وسمة بارزة من سمات الشعر العربي الحديث؛ فقد لجأ كثير من الشعراء إلى استدعاء الشخصيات الدينية بدلالاتها المختلفة، وبما ينسجم مع تجربته في المواقف التي يريدها ويشعر بها ، أو ليحاكم العصر ونقائصه من خلالها، وهو في ذلك يختار الأحداث و الشخصيات التي تتلاءم ومضمون تجربته، فيتصل بها من خلال "صورة رامزة للواقع المستفز بهموم القضايا السياسية "[7]. التي يعاني منها ناشدا التطهير .

استدعاء شخصية الحسين بن علي

(5) د.عز الدين اسماعيل :الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والاجتماعية، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ص 307.

(6) علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر.الشركة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس،ط1، 1978ص 54.

(7) رجاء عيد : لغة الشعر،منشأة المعارف،الإسكندرية،القاهرة،1985.ص127 .

تأخذ شخصية الحسين بن علي"موقعا متميزا في مسيرة الشهادة من وجهتَي النظر التاريـخية والفنية".[8] لذلك تشكل شخصيته، وموقعة "كربلاء" ، تراجيديا البطولة الساعية إلى تحقيق التغيير الحضاري في المجتمع الإسلامي في العصر الأموي؛ لكن مقابلة هذه الثورة بالقمع والتنكيل أدى إلى فشلها، وإلى موت مأساوي لبطلها ومشعل وقودها "الحسين بن علي"، ولم يكن سبب هذا الفشل نقصاً أو قصوراً في دعوة صاحبها أو مبادئه، وإنما سببها أنها كانت أكثر مثالية ونبلاً من أن تتلاءم مع واقع ابتدأ الفساد يسري في أوصاله[9].

ويأتي استدعاء شخصية الإمام الحسين بن علي في الشعر الحديث رمزا للمقاومة والاستشهاد والبطولة، وهذا ما يحتاجه العالم العربي والإسلامي في ظل معاناة القهر والحرمان والفقر والفساد القابع في كل مكان، لذا كان لشخصية الحسين حضور بارز عند شعراء العصر الحديث في شتى أقطار الوطن العربي وكأنّ همومهم جميعا واحدة .كيف لا ؟ ودينهم واحد ولغتهم وعاداتهم وثقافاتهم وتراثهم واحدة أيضا.

أنماط توظيف شخصية الحسين بن علي في الشعر:

لقد كان "الحسين" صاحب قضيتين : سياسية وأخلاقية ضد الفساد الذي استشرى في المجتمع الأموي، ولذلك تسابق الشعراء في تصوير هذه الشخصية باعتبارها صاحبة قضية إنسانية كبرى تتسم بالأخلاق النبيلة، وترفض الواقع، وتقف وحيدة في أرض المعركة بعد أن تقاعس أشياعها عن نصرتها والدفاع عن مبادئها النبيلة، وهي صورة تاريخية يمكن اعتبارها معادلاً دلالياً لسلبية الأمة وتخاذلها عن نصرة الحق والخير في العصر الحاضر، وبذلك سقط صاحب هذه الدعوة شهيداً [10].قد وظف كثير من شعراء العصر الحديث هذه الشخصية بدلالاتها المختلفة وباستدعاء أركان أحداثها المأساوية في التاريخ الإسلامي. وقد جاء توظيف الشعراء لشخصية الحسين بن علي وفق نمطين:

أ- التوظيف الكلي للشخصية / الصور الكلية

ب- التوظيف الجزئي للشخصية / الصور الجزئية

التوظيف الكلي للشخصية : هو أن تستغرق الشخصية القصيدة من أولها إلى آخرها، حيث يسقط الشاعر على ملامحها التراثية كل أبعاد تجربته المعاصرة.[11] ومن الأمثلة على ذلك قصيدة بدر شاكر السياب الدمعة الخرساء، أو رسالة

(8) الكركي (خالد)،الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث، دار الجيل، بيروت،ط1

(9) انظر. علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية.(ص121 وما بعدها)

(10) د. إبراهيم نـمر موسى : توظيف الشخصيات التاريخية في الشعر الفلسطيني المعاصر، جامعة بـير زيـت/ http://samaa.stormpages.com/a93.htm

(11) استدعاء الشخصيات التراثية، ص 264.

عتاب إلى يزيد، التي تُعد من روائع السياب الشعرية التي يثور فيها على رموز الرذيلة من خلال استدعاء شخصية الحسين ، قائلا:

إرم السماءَ بنظرة استهزاء واجعل شرابك مـن دم الاشلاءِ

واسحق بظلك كـل عرض ناصعٍ وأبـح لنعلك أعظـم الضعفاءِ

وأسدر بغِّيك يا يزيد فقد ثوى عنك الحسين مقطع الأحشاءِ[12]

ويسقط الشاعر صورة المتخاذلين الجبناء الذين تركوا الحسين (يتقطع أشلاء)على أمثالهم في العصر الحاضر ممن يقفون موقف المتفرج حين تسيطر عليهم مشاعر الخوف من الحاكم أو السلطة، فإذا ثار الحسين على قوى الظلم والطغيان والاستبداد...فإن هناك أيضا قوى في العصر الحديث لا بد من مناهضتها.. وكذلك صورة أخرى تتمثل في الذين يخافون من الحاكم أو السلطان في زمن الحسين بن علي، وكذلك المجتمعات الحديثة لا تخلو من متخاذلين تسيطر عليهم مشاعر الخوف والهلع، لذلك يوجه الشاعر إليهم عتابه:

والليل أظلم والقـطيع كـما ترى يرنـو اليـك بـأعيـن بلـهاء

أحنى لسوطك شاحبات ظـهوره شأن الذليل ودب فـي استرخاءِ

ولم يكتف السياب باستدعاء شخصية الحسين ظاهرا بملامحها العامة؛ بل دخل في أعماقها النفسية ، فقد كان الحسين يبكي ويقول: (سيدخل جيش يزيد إلى جهنم بسببي) لذلك يقول السياب متأسيا على ما سيحل بجيش يزيد من جحيم وويلات ، ويوجه خطابه إلى يزيد قائلا:

حيران في قـعرِ الجحـيمِ معلق ما بيـن ألسنـة اللظى الحمراءِ

أبصـرتُ ظلك يـا يـزيد يرجه موجُ اللهـيبِ وعاصفُ الأنواءِ

رأس تكـلل بالخنا واعتاض عن ذاك النضـار بحـية رقـطاءِ

ويـدان مـوثقتان بالـسوط الذي قد كان يعـبث أمس بالأحياءِ

ثم يتوجه بالخطاب إلى يزيد باعتباره رمزاً من رموز الاستبداد والظلم والاضطهاد الإنساني.

قم واسمع اسمك وهو يغدو سبةً وانظر لمجدك فهو محضُ هباءِ

(12) بدر شاكر السياب: أزهار ذابلة وقصائد مجهولة ، تحقيق حسن توفيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط2 1985

ثم يصل إلى الحالة الإنسانية لحركة الحسين التي تلتقي معها كل الأرواح المُحبةُ للحريةِ والتواقة للإباء والرافضة للذل والخنوع، هذه الثيمة التي عبر عنها الإمام الحسين بقوله: والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد[13]؛ فيقول السياب في ذلك:

عزَّ الحسين وجلَّ عن أن يشتري ريَّ الغليل بخطـــــةٍ نكراءِ

آلى يـــــموت ولا يوالي مارقاً جمَّ الخطايا، طائش الأهواءِ

يلاحظ أن السياب استدعى شخصية الحسين من بداية القصيدة إلى نهايتها، فكانت الشخصية المستدعاة هي المحور الأساس في بنائية النص الشعري، وهذا النمط هو التوظيف الكلي للشخصية الذي استطاع السياب من خلاله توجيه رسائلة إلى يزيد باعتباره رمزا للظلم والاستبداء، والحسين رمزا للحرية والإباء والثورة على نظم الاستبداد والقهر والهوان ...فإن كان ذلك في زمن الحسين بن علي فإن حال العراق آنذاك لا يختلف كثيرا؛ فالظلم والنظام الإقطاعي يسيطر على المجتمع ، وكذلك أبناء المجتمع منهم الثائر ضد الظلم ومنهم المتخاذل الذي يخاف السلطان، لذا وجد السياب في شخص الحسين الثائر على الظلم والفساد وقوى الطغيان والاستبداد رمزا مماثلا لابعاد تجربته الشعرية .

ويستدعي أدونيس شخصية الحسين في قصيدة (مرايا) التي تعكس تجربته مع الحسين بصورة عميقة في توظيف المأساة من خلال ثلاثة مقاطع / مرايا، ففي (مرآة الرأس) يبدأ النص بحوار بين رجل وزوجته يبشرها بهال الدهر والرأس ...، لكنها ترفضه عندما تعرف أنه عاد برأس الحسين ، وتلومه وتهجره، يقول أدونيس:

أبشري،

جئتك بالدهر، بهال الدهر

ـ من أين، وكيف، أين؟

ـ برأسه...

ـ ويلك يوم الحشر

ويلك لن يجمعني.. طريق أو حلم أو نوم

إليك بعد اليوم

وهاجرتْ نوّار.. [14]

(13) علاء الخطيب ، صحيفة الزمان ، العدد (27نوفمبر_2012)

(14) أدونيس، المسرح والمرايا قصائد (مرايا وأحلام حول الزمن المكسور) مرأة الرأس رقم 16. دار الآداب، بيروت / 1988 .ص83

يعمد أدونيس إلى إسقاط الخبر التاريخي والحكايات الدينية والشعبية التي تتحدث عن رأس الحسين، والاكتفاء بهذه الإشارة يحقق عمقا للنص الشعري، ويضفي إليه نكهة أدبية.

يستدعي أدونيس شخصية الحسين برمزية البطل العظيم والشجاع بدلالات القيم النفسية والحسية؛ فالحسين في شعر أدونيس بطل التراجيديا، وليس مجرد بطل في التاريخ الحقيقي، وقد تحوّلت الحقيقة التاريخية عند بعض الشعراء إلى أسطورة ... وخلق أدونيس من الأسطورة، ومن رؤيته حالة جديدة تتمثل في الحضور الحدسي الوجداني، وأصبح التلاحم بين الحسين والجمهور المشيّع بذكراه تمرّ من خلال قصيدة بعد أن كان يمرّ من خلال التاريخ والسيرة الشعبية[15]

وفي (مرآة الشاهد) صورة معبرة تعكس للمتلقي حالة الحدث المأساوي الذي حل بالحسين ، وقدم الشاعر ذلك من خلال رؤية جديدة، وصياغة فنية للتعبير عن موقف نضالي يكتنفه إحساس ممزوج من الغضب والألم باعتبارهما حافزين للناس على الثورة، ويعبر هذا النص عن استشهاد الحسين الذي أحدث هزة في كل مظاهر الوجود ، لذا يقدم أدونيس نصه على شكل نشيد جماعي.

وحينما استقرّتِ الرّماحُ في حشاشةِ الحسينْ

وازّينَتْ بجسدِ الحسينْ

وداستِ الخيولُ كلّ نقطةٍ

في جسدِ الحسينْ

واستُلبتْ وقُسِّمت ملابسُ الحسينْ،

رأيتُ كلّ حجَرٍ يحنو على الحسينْ

رأيتُ كلّ زهرةٍ تنامُ عند كتفِ الحسينْ

رأيتُ كلّ نَهْر

يسير في جنازة الحسينْ [16]

يعبّر أدونيس في هذه (المرآة) عن حالة كونية حلت في كل شيء بسبب استشهاد الحسين ، وقد حاول أدونيس أن يجعل من مقتل الحسين رمزا للموت والانبعاث... كما تعكس لنا (مرآة الشاهد) القصص والحكايات التي تروى عن

(15) علوان السلمان : رمزية الإمام الحسين في الشعر، الحلقة الثانية، ص 1-3. نقلا عن فاطمة فائزي: الإمام حسن في شعر أدونيس مجلة موسوعة الأدب العربي في خوزستان. مقال رقم 274

(16) أدونيس : المسرح والمرايا قصائد (مرايا وأحلام حول الزمن المكسور) مرأة الشاهد رقم 17 ص84

مقتل الحسين وخذلانه من طرف مؤيّديه. ثم يصور لنا أجواء الجنازة، ومشاركة كل الأشياء فيها: فالحجر يحنو على الحسين ، الزهرة تنام على كتفه ، النهر يسير في جنازة الحسين، والشاعر يريد من هذا التعاطف الكوني ابراز عظم الخيانة التي حلت بالحسين من مؤيديه ، وتلاشي المروءة والفضيلة... ، واستشهاد الحسين في سبيل الحق هو رمز مناضلة الإنسان مع الباطل في العصر الحديث في شتى صوره ، لذا يدعو أدونيس إلى الثورة على الباطل من أجل التحرر واسترداد المكانة القيمة التي ينبغي أن يكون عليها الإنسان في هذا الزمن.

وفي المرآة الثالثة (مرآة لمسجد الحسين) إذ تطوف حوله الأشجار والسيوف، يقول:

ألا ترى الأشجارَ وهْي تمشي

حدباءَ ،

في سُكْرٍ وفي أناةْ

كي تشهدَ الصّلاةْ ؟

ألا ترى سيفاً بغيرِ غِمدٍ

يبكي،

وسيّافاً بلا يَدينْ

يطوف حول مسجدِ الحسينْ؟ (17)

ليس الحسين مجرد بطل تاريخي ورمز ديني في مقاومة الظلم والاستبداد؛ إنما الحسين حالة، الحسين (بطل التراجيديا) ، فكل شيء حوله يشعر به، ويأن لأنينه فالأشجار الحدباء تصلي عليه، والسيف يبكي عليه... يرتقى أدونيس برمزيته إلى علامة وجود مستمرة لا تقتصر على الحكايات الشعبية والتاريخ..بل في الشعر أيضا.

التوظيف الجزئي/ الصور الجزئية : ويقصد بهذا النمط من الاستخدام توظيف الشخصية التراثية؛ لتكون صورة جزئية أو عنصراً في الصورة الشعرية؛ ليعبر بها الشاعر عن أبعاد تجربته المعاصرة، ففي قصيدة "القمر ذو الوجوه السبعة": يتخذ معين بسيسو من فاجعة مقتل الحسين موقفا احتجاجيا ضد المنافقين الذين يرفعون سيوفهم مع الحسين ثم يتركونه في ساحة المعركة وحيدا، ثم يرفعون قصائدهم المنقوشة على سيوفهم بمدح قاتل الحسين، يقول:

تموت في الخريف مرة

وفي الربيع مرتين

(17) أدونيس :المسرح والمرايا قصائد (مرايا وأحلام حول الزمن المكسور) مرأة لمسجد الحسين رقم 18ص85

يستيقظ الشتاء في غصونها

ويأكل اليدين

رأيته في كربلاء

تحت راية الحسين

صهيل سيفه مع الحسين

وفوق سيفه قصيدة منقوشة

في مدح قاتل الحسين[18]

إن استدعاء الشاعر لشخصية الحسين ومقتله في كربلاء لا لتصوير الحدث التاريخي المؤلم فحسب؛ بل لتوظيف الدلالة على الخيانة، وانعدام المبادئ الأخلاقية لدى بعض الشعراء، وابتعادهم عن القيم النبيلة التي يجب أن يتسموا بها، لكن بعضهم قد باع ضميره، مما أفقد الكلمة الشعرية مصداقيتها في التعبير عن قضايا العصر.

إن الشاعر صاحب كلمة ومصداقية، ومسؤولية أخلاقية عليه نشدانها في شعره، وتمثلها في سلوكه، ينبغي عليه دائما أن يلتمس ذلك في قضايا العصر والمجتمع المحيط به، وألاّ ينجر وراء المغريات الدنيوية؛ لكن أكثر الشعراء وقفوا على أبواب السلاطين ، فقدموا شعرا فارغا من محتواه القيمي والأخلاقي، وبعيدا كل البعد عن الإصلاح والتغيير .

وبهذا أبدع بسيسو في نقل الدلالة الرمزية في استحضار هذا الواقع التاريخي من خلال استدعاء شخصية الحسين، وتجسيد عظم خيانة الشعراء لكلمتهم وخيانتهم لمبادئهم هي هي كمن خان الحسين وخدعه ثم مدح قاتله.

وفي قصيدة (من أوراق أبي نواس) يستدعي أمل دنقل صورة الحسين وكربلاء من خلال سرد قصصي، حيث يقف الشاعران (أبو نواس ـ أمل دنقل) أمام ظمأ الحسين، أمام جرعة الماء ..ومات، ولم تمنح له .. لأن ضعاف النفوس يعميهم الذهب المتلألئ ولهذا يضعنا الشاعر أمام رمزية لسؤال كبير في الورقة السابعة ، يقول:

كنتُ في كَرْبلاءْ

قال لي الشيخُ إن الحُسينْ

ماتَ من أجلِ جرعةِ ماءْ!

وتساءلتُ

(18) معين بسيسو: الأعمال الشعرية الكاملة. دار العودة ،1981، بيروت ، (ص295)

كيف السيوفُ استباحتْ بني الأكرمينْ

فأجابَ الذي بصَّرتْه السَّماءْ:

إنه الذَّهبُ المتلألئُ: في كلِّ عينْ.

إن تكُن كلماتُ الحسينْ..

وسُيوفُ الحُسينْ..

وجَلالُ الحُسينْ..

سَقَطَتْ دون أن تُنقذ الحقَّ من ذهبِ الأمراءْ؟

أفتقدرُ أن تنقذ الحقَّ ثرثرةُ الشُّعراء؟

والفراتُ لسانٌ من الدمِ لا يجدُ الشَّفتينْ؟!

ماتَ من أجل جرعة ماءْ!

فاسقني يا غُلام.. صباحَ مساء

اسقِني يا غُلام..

علِّني بالمُدام..

أتناسى الدّماءْ!! [19]

ويستدعي نزار قباني في قصيدة (عندما يسقط متعب بن تعبان في امتحان حقوق الإنسان) شخصية الحسين وكربلاء ، مصورا حالة الصراع بين المستبدين والمشردين، ويبدأ نزار قباني انفعاله بسخرية ابتداء من عنوان القصيدة:

مُواطنوانَ.. دُونَما وَطَنْ

مُطَاردُونَ كالعصافير على خرائطِ الزَمَنْ..

مُسَافِرُونَ دُونَ أوراقٍ

ومَوتي دُونما كَفَنْ. [20]

(19) أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ص 266-267.

(20) نزار قباني الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات نزار قباني ، ط، السادسة عشر ، بيروت.

يعبر قباني عن غربة الانسان الحر الأبي الذي يتسلح بالمبادئ السامية من أجل العيش بكرامة إلا انه لا يجد وطنا متاحا له لأن أنظمة التسلط والاستبداد تلاحقه في كل مكان حتى موته دون كفن.

ثم يستدعي قباني كربلاء، وكربلاء حالة في كل شيء في دمه وفي طعامه وشرابه فكربلاء فكر لا مجرد ذكرى تستدعى بين ماض وحاضر. يقول:

مُواطنونَ نحنُ في مدائن البُكاءْ

قَهْوتُنا مصنوعةٌ من دمِ كَرْبَلاءْ

حِنْطتُنا معجونةٌ بلحم كَرْبَلاءْ

طعامُنا. شرابُنا

عاداتُنا. راياتُنا

صيامُنا. صَلاتُنا

زُهورُنا. قُبورُنا

جُلُودُنا مَخْتُومةٌ بخَتْم كربلاءْ..

يستدعي نزار قباني كربلاء، وكربلاء حالة في كل شيء، في دمه وفي طعامه وشرابه فكربلاء فكر لا مجرد ذكرى تستدعى بين ماض وحاضر، فالأنظمة الحاكمة هي هي وإن اختلفت في الأسماء فالحق ضائع، ولكنها مع كل ذلك خالدة بمبادئها الإنسانية لا في مأساتها.

ويستدعي أحمد دحبور حادثة "مقتل الحسين في كربلاء" في قصيدته "العودة إلى كربلاء" ، يقول:

آتٍ، ويسبقني هواي

آتٍ، وتسبقني يداي

آتٍ على عطشي، وفي زوَّادتي، ثمر النخيل

فليخرج الماء الدفين إليَّ، وليكن الدليل

يا كربلاء تلمَّسي وجهي بمائك، تكشفي عطش القتيل

وتري على جرح الجبين أمانة تملي خطاي[21]

(21) أحمد دحبور: ديوان أحمد دحبور-دار العودة-بيروت-1983م.(ص257)

يستدعي الشاعر مأساة الحسين ومقتله وينادي كربلاء / الروح، ويسبقه هواه إليها فجاء إليها رغبة في التطهير للاقتراب من الحقيقة حتى (ترى على جرح الجبين أمانة تملي خطاي) .

يستدعي الشاعر هذه الحادثة ليرمز من خلالها إلى الشعب الفلسطيني الذي خُذل " وأدخل إلى نار المذبحة، وفار دمه ودم أهله، كما فار دم الحسين وأهله في كربلاء. إن الرمز هنا لكربلاء الفلسطينيين : الأسى والعطش والحصار والغضب والمأساة، إنه البحث عن ماء في زمن العطش، لقد وصل إلى كربلاء، رغم الطرق المغلقة، ورغم مشقة الطريق آملاً أن تكون البداية، ووجد الحسين نفسه وحيداً في المواجهة، بينما تقاسم الأخرون أسرارهم وثمر النخيل، إنهم الذين خذلوا الفلسطيني المعاصر "[22] .

لقد استدعى الشاعر هذه الحادثة المؤلمة من تاريخ البشرية، وأسقط دلالاتها على الشعب الفلسطيني الذي فُرِضَ عليه الموت ليحيا، كما فُرِضَ الموت على الحسين ليحيا، ويتحول إلى "بطل التراجيديا" وليس مجرد "بطل التاريخ"، كما أصبح موته علامة وجوده المستمر[23] بعد رفضه الاستسلام والخنوع واختارت نفسه الأبية الموت بنفس راضية.

ويستدعي قاسم حداد شخصية الحسين في قصيدته (خروج راس الحسين من المدن الخائنة) فقد جعل من رأس الحسين رمزا لثورة العصر في انطلاقتها ضد الطغيان واستعباد الإنسان... ومن هنا توظف القصيدة الشخصية الثائرة لتعطي الحدث بعده التأريخي.. ويعطي الشاعر رأيه في موانع النهضة للجماعة المهزومة على امتداد زمني بعيد، وذلك من خلال استدعاء شخصية الحسين بأبعادها التاريخية والنفسية ابتداء من العنوان، يقول:

نسير ونعرف كيف نشق التراب، ونبذر داخله

كيف نحزّ الرؤوس ونزرعها عبر كل العصور

فنحن الحسين المسافر من كربلاء

ورأس الحسين الممزق بين دمشق وبين الخليج

ونحمله نستريح على سورة المومياء.

.....

ويستقبل الجوع راس الحسين، ويفتح باب الحريق

ليدخل راس الحسين.

(22) د. خالد الكركي: الرموز التراثية العربية.(ص189)

(23) د. خالد الكركي: الرموز التراثية العربية.(ص194)

تصير البلاد عروسا لها ألف طفل وألف عشيق [24].

تتجسد الجماعة عند الشاعر في شخص الحسين : (فنحن الحسين المسافر من كربلاء) هذه العبارة تنقل المتلقي إلى أعماق البعد التاريخي (الحسين وكربلاء) والبعد الواقعي عبر (الضمير نحن) وهذا البعد بين الماضي والحاضر يأتي مرة أخرى في التقابل بين (دمشق) وبين (الخليج) في (ورأس الحسين الممزق بين دمشق وبين الخليج) إذن دمشق تعكس البعد التاريخي والخليج يعكس البعد الواقعي في رصد سريع لسيرة المكان من خلال ارتباطه بالحدث وتشكل الخيانة فيه (مدينتنا لم تخن نحن خنا) ملقيا باللوم على الجميع (نحن) ،ولذلك يوظف الشاعر شخصية الحسين من أجل إعادة بناء الذات الجماعية المهزومة؛ فالثائرون يحملون رأس الحسين، ويسيرون إلى مدن النار، وتبدأ الثورة في الخليج..

وهذه القصيدة ذات بناء يتنامى فيه غضب ورؤية لزمان قادم، مستمدة من وعي بالرمز الأصـــل، وهو رأس الحسين الذي حمل إلى عبيد الله بن زياد ثم إلى يزيد بن معاوية: رأس الحسين الذي يتحول إلى راية في زمن آخر احتجاجاً على الظلم والموت والحيرة والقلق..

وأما سميح القاسم فيستدعي شخصية "الحسين بن علي" ، فينظر إلى "كربلاء" باعتبارها رمزاً من رموز الدم العربي النازف في جسد العراق حتى يومنا هذا. يقول:

في عقر دارك جزَّ الـروم ناصيتـي وجـاوزت خيلهم أبواب حطين

لكن ظلم ذوي القربى أشـد على روحي الجريحة من ظـلم يقاويني

ما كربـلاء! وفي بغـداد نـازفة دمـاء شعبي من حين إلى حـين

يا دجلة الخير، فاجرف كل شائبة واسق المحبين، واغسل إفك مأفون

.....

فما أقول إذا استنطقت عن وجعي والجـرح جرحي والسكين سكيني

ويوم يزحم وجه المـوت ذاكرتي أبكي عـراقي أم أبكي فلسطيني؟![25]

يستدعي الشاعر أماكن وشخصيات تاريخية متعددة؛ فالروم رمز للتدمير والقتل والاحتلال..وهذا بالتالي سيوحد الأمة ويؤدي إلى صمودها في مواجهة العدوان، فالعدو واحد..وليس هذا بالفاجعة التي تؤلم الشاعر، إنما الفاجعة الحقيقية، تتمثل في "ظلم ذوي القربى" ، وهذا ما لا يستطيع الشاعر تصوره، وقد قالت العرب قديما (وظلم

(24) قاسم حداد، خروج راس الحسين من المدن الخائنة، ص65.

(25) سميح القاسم، القصائد ، مج2.(ص393-394)

ذوي القربى أشد مرارة). وتأتي "كربلاء" نازفة بالدماء من أجل الحرية الإنسانية، ويتقدم الحسين في رضى وسكون ، بعد أن تخلَّى عنه أشياعه وتركوه وحيداً في ساحة المعركة، ويسقط الحسين شهيدا ..ويصبح موته مثالا في الشهادة والتضحية والفداء.

ولا يأتي الشاعر فقط لتصوير الواقعة التاريخية بسرد تاريخي؛ بل ليجسد ذلك على واقع العصر الحاضر، وما تعانيه (بغداد وفلسطين)؛ فالدماء في كل يوم نازفة منهما، ولا محرك ولا نصير لهما.

الخاتمة

لقد وجد الشاعر العربي الحديث في تراثه وفي الإمام الحسين الملاذ الآمن، والطاقة الكامنة في التعبير عن معطيات العصر وما يعانيه الواقع من ويلات وإخفاقات، وقد أبدع الشعراء في توظيفها واستدعاء رموزها المحتلفة التي تعالج تجربته الشعرية بوعي وإدراك في أغلب نماذجها المستدعاة، والتي تمثلت في رمزية الثائر ضد قوى الطغيان والاستبداد، ولم يقتصر استدعاء شخصية الإمام الحسين على شعراء الشيعة فقط ؛ بل وظفه الشيعة وغيرهم لأن الحسين لا يمثل طائفة دون أخرى، وهو حفيد النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان لحادثة مقتله الألم والحزن الكبير على كل مسلم في كل بقاع الأرض ، وما تناقلته الأخبار في ذلك ، لذا كان لرمزيته الصدى الكبير في الشعر العربي الحديث، وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على الصلة العميقة للشاعر العربي بتراثه.

المراجع

1) إبراهيم نـمر موسى، توظيف الشخصيات التاريخية في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة عالم الفكر،2004، مج 33، ع 2، أكتوبر وديسمبر، الكويت.
2) ابن الشجري، مختارات ابن الشجري، تحقيق محمود حسن زناتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1980
3) بدر شاكر السياب، أزهار ذابلة وقصائد مجهولة ، تحقيق حسن توفيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط2 ، 1985
4) خالد الكركي، الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث، دار الجيل، بيروت،ط1
5) رجاء عيد، لغة الشعر، منشأة المعارف، الإسكندرية، القاهرة، 1985.
6) عز الدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والاجتماعية، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967.
7) علاء الخطيب ، صحيفة الزمان ، العدد (27نوفمبر_2012)

8) علوان السلمان ، رمزية الإمام الحسين في الشعر، الحلقة الثانية، ص 1-3. نقلا عن فاطمة فائزي: الإمام حسن في شعر أدونيس مجلة موسوعة الأدب العربي في خوزستان. مقال رقم 274

9) علي حداد، أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة ،ط1986 .

10) علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر.الشركة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس،ط1، 1978ص 54

11) محمد فؤاد السلطان ، الرموز التاريخية والدينية والأسطورية في شعر محمود درويش. مجلة جامعة الأقصى(سلسلة العلوم الإنسانية)المجلد الرابع عشر،العدد الأول ص1-36يناير 2010

12) نبيل أبو علي، الفرق بين الأسطورة والخرافة والتاريخ، مجلة كلية الأداب، جامعة حلوان، العدد الخامس،1999.

الدواوين الشعرية

13) أحمد دحبور، الديوان ، دار العودة، بيروت،1983م.

14) أدونيس، المسرح والمرايا قصائد (مرايا وأحلام حول الزمن المكسور) مرأة الرأس رقم 16. دار الآداب، بيروت / 1988 .

15) أمل دنقل، الأعمال الكاملة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 2005

16) سميح القاسم، الديوان،مج2، دار العودة، بيروت، 1987.

17) قاسم حداد، الأعمال الشعرية، دار الفارس ، عمان، 2000

18) معين بسيسو، الأعمال الشعرية الكاملة. دار العودة، بيروت ،1981.

19) نزار قباني الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات نزار قباني ، ط السادسة عشر، بيروت

مواقع إنترنت

20) *http://samaa.stormpages.com/a93.htm*